مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

أصل الوجود في الفلسفة اليونانية ما قبل سقراط (القرنان السادس والخامس قبل الميلاد)

المدرس المساعد رسل علي حسين

جامعة البصرة \ كلية الآداب \ قسم الفلسفة

التخصص العام للبحث:الفلسفة	التخصص الدقيق للبحث:فلسفة يونانية

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

أصل الوجود ، الفلسفة اليونانية ، ما قبل سقراط ، المادة الاولى ،التحول التاريخي للفكر ، الميتافيزيقا اليونانية .

المستخلص باللغة العربية:

تتمحور هذه الدراسة حول استكشاف التصورات الفلسفية العميقة المتعلقة بمسألة أصل الوجود وهي القضية التي شكلت حجر الزاوية في الفكر اليوناني القدية خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد .
تكمن القيمة العلمية لهذه الدراسة في تتبع لحظة التحول التاريخي في الفكر البشري حيث انتقل العقل من التفسيرات الاسطورية والميثولوجية الى فضاء التأمل الفلسفي والنزوع العقلي في تفسير نشأة الكون ومبادئه الاولى .

يتناول البحث بالتحليل والمقارنة آراء نخبة من فلاسفة عصر ما قبل سقراط بدءاً من طاليس أنكسيمندر و انكسميناس وصولا الى الاطروحات الجدلية لدى هيرقليطس وبارمنيدس وفيثاغورس وذلك في ضوء تحليل مفاهيمهم حول المادة الاولى والقوانين الحاكمة للوجود .

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

المقدمة

انتقل الفكر الانساني في بلاد اليونان القديمة (القرنان السادس والخامس قبل الميلاد) من التفسير الميثولوجي (الاسطوري) الى التفسير العقلي مدشناً بذلك ولادة الفلسفة يهدف هذا البحث الى استكشاف اشكالية أصل الوجود وتطور المفاهيم الانطولوجية لدى فلاسفة ما قبل سقراط متتبعا المسار الذي سلكه العقل اليوناني في بحثه عن المبدأ الاول للكون

ولأجل الاحاطة بمشكلة البحث وتحقيق الاهداف تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث اساسية على النحو التالي :-

المبحث الاول :- البيئة الثقافية والسياسية لليونان القديمة (تمهيد لولادة الفلسفة)

المبحث الثاني :- تصور العلة الأولى وأصل الوجود في الفكر اليوناني لفلاسفة الطبيعة

المبحث الثالث :- مفاهيم الثبات والتغير والوحدة

أولا :- مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول الاشكالية الوجودية الكبرى التي واجهت الفكر اليوناني في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ما هو أصل الوجود ؟

تكمن الاشكالية في طبيعة التحول المعرفي الذي قاد العقل اليوناني للقطيعة مع التفسير الميثولوجي (الاسطوري) وتبني التفسير العقلي (الانطولوجي) لتفسير نشأة الكون ويتساءل البحث تحديدا عن :-

0 كيفية الانتقال من التفسير الاسطوري الى البرهان العقلي ؟

0 مدى اختلاف الرؤى الفلسفية حول المبدأ الأول بين الماديين وأصحاب النظريات التجريدية ؟

0 طبيعة الجدل الفلسفي حول جدلية الثبات والتغير في الوجود ؟

ثانيا :- أهمية البحث

1- توسيع مجال المعرفة في استجلاء لحظة التحول التاريخي الحاسمة التي تحرر فيها العقل الانساني من قيود الميثولوجيا (الاسطورة) نحو رحاب التفكير العقلي .
2- تسليط الضوء على فلاسفة ما قبل سقراط الذين يعدون اللبنة الاولى في صرح الفلسفة مما يساعد في فهم تطور الاسئلة الوجودية عبر الزمن .
3- يقدم البحث مقارنة بين المدارس الفلسفية المختلفة (المادية والتجريدية) مما يثري الفهم النقدي لكيفية معالجة العقل البشري لثنائيات الثبات والتغير والوحدة والكثرة .
4- تبرز الاهمية في منهجية البحث التي تربط بين الظروف الجغرافية والثقافية اليونانية وبين نتاجهم الفلسفي مما يقدم نموذجا في كيفية دراسة الفكر في سياقه الواقعي .

ثالثا :- أهداف البحث

1- رصد التحول التاريخي والفكري في العقل اليوناني من مرحلة التفسير الميثولوجي الى مرحلة التفسير العقلي .
2- تحليل مفهوم المبدأ الأول لدى فلاسفة ماقبل سقراط وتفكيك تصوراتهم حول المادة الأولى المكونة للوجود .
3- الكشف عن التباين الفلسفي بين أصحاب النظريات المادية والتجريدية في تفسير قوانين الكون والوقوف على أبعاد الجدل بين الثبات والصيرورة .
4- ابراز الدور التأسيسي الذي لعبه هؤلاء الفلاسفة في صياغة القضايا الوجودية الكبرى وتوضيح أثرهم في مهد الفلسفة اليونانية .

المبحث الاول :- البيئة الثقافية والسياسة لليونان القديمة بوصفها تمهيداً للولادة الفلسفة

يستعرض هذا المبحث السياق التاريخي والجغرافي والسياسي لبلاد اليونان القديمة بوصفه الحاضنة الثقافية التي هيأت لولادة الفلسفة وانتقال العقل من التفسير الاسطوري الى التفكير العقلاني .

أولا:- العالم اليوناني القديم

لا يمكن فهم الفلسفة اليونانية دون الاحاطة بالاطار الثقافي والسياسي الذي انبثقت منه ،اذ ساد لدى اليونانيين اعتقاد بأصالتهم في جزيرتهم رغم تعدد الروايات التي تشير الى أصولهم الاسوية أو آرائهم في انتمائهم للآريين أو الهنود أو الأوروبيين وقد تألف المجتمع اليوناني من اربع قبائل متباينة في خصائصها الفطرية ولهجتها الأيليون والدوريون في الشمال والأخيون والأيونيون في الجنوب .

وقد شهد القرن الثاني عشر ق.م اضطراباً في هذا التقسيم اثر غارات أهل تساليا على السهول اليونانية مما دفع الأيليين الى الهجرة نحو آسيا واستيطان جزيرة لسبوس والمناطق الممتدة من الدردنيل الى خليج أزمير وهي المنطقة التي عرفت ب أيولية وفي السياق ذاته توغل الدوريون في اقليم المورة وأخضعوا الأخيين بينما نزح الأيونيون منقسمين الى فرق أسست مدناً بارزة في مقدمتها أزمير وأفسوس وملطية .

وقد أدى هذا الغزو الى تقويض حضارات مادية عظيمة كانت قائمة في شبه الجزيرة وبعض الجزر ولاسيما حضارة كريت (كرم ،2019 ،ص 27)

أعقب ذلك مرحلة من الصراعات الأهلية في ظل أنظمة ديمقراطية مقيدة في أثينا وأسبرطة تزامنت مع وضع دساتير تأسيسية على يد المشرعين سولون وليكورغ .

وقد أطلق على الرومان مصطلح اليونان الكبرى دلالة على اتساع نطاق هجراتهم اذ امتدوا شمالا وغرباً مستعمرين ايطاليا الجنوبية وصقلية والاندلس وجنوب فرنسا فضلا عن توسعهم جنوباً نحو قبرص ومصر وشمال أفريقيا وفي هذه المرحلة برزت مدن على ضفتي البوسفور تميزت بالاستقلال السياسي والاداري ومع ذلك ظلت ممتدة للعالم اليوناني الواحد ومرتبطة بوطنها الام .

والى جانب التبادل التجاري والفكري كان لتفاعل هذه الحضارة مع الشعوب الشرقية دور محوري في نشوء الحضارة اليونانية وتطوير ثقافتها من خلال الاستفادة من معارف الاخرين .(كرم ،2019،ص28)

ثانيا :- بدايات الفلسفة

ان التفكير الفلسفي القديم جاء نتيجة حتمية للظروف الأولى التي عاشها الانسان فمنذ الظهور الاول للبشرية على وجه الارض كان الانسان يخوض صراعاً مريراً مع الحياة من اجل البقاء لم تكن الحياة في بدايتها كريمة او مستقرة حيث كان الانسان يبذل قصارى جهده لتأمين احتياجاته اليومية الأساسية وبمجرد ان تمكن من توفير تلك الاحتياجات وتحسنت ظروفه المعيشية بدأ يجد متسعا من الوقت ومن هذا الفراغ استهلت بدايات التفكير .

في المرحلة الأولى لعب الخيال والاسطورة دوراً محورياً اذ استخدمت لملء وقت الفراغ الذهني وتفسير الوجود ومن هنا انبثقت الميثولوجيا وهي العلم الذي يعني بسرد القصص عن الكون والآلهة والابطال من خلال الاساطير.

عقب ذلك تطور الامر وانتقل من طور الخيال الى طور التفكير المنظم حيث بدأ الانسان يعتمد على التفكير المنطقي ومن هنا انطلقت البذور الأولى للفلسفة متمثلة في طرح تساؤلات جوهرية حول ماهية الكون وكيف يعمل ؟ ولماذا يحدث هذا ؟ ومن خلال تكوين هذه الاسئلة ندرك أن الفلسفة لم تنشأ من فراغ بل كانت استجابة لحاجة انسانية ملحة لفهم الكون وتفسير الظواهر وهكذا كانت الفلسفة حاجة للإنسان وهو ما يمثل جوهر وأهم أسس الفلسفة اليونانية . (محمود، أمين ،2018، ص12)

ثالثا :- الجغرافيا الأولى لبداية التفلسف (بين الأصالة اليونانية والمؤثرات الشرقية)

تعد مسألة الموطن الاول للفكر الفلسفي من أكثر القضايا جدلا في الاوساط الاكاديمية حيث يذهب الفريق الاول ويمثله الدكتور مصطفى النشار الى ان جذور التفلسف ارتبطت بظهور الحضارات الانسانية الاولى واستقرار الانسان في ارجاء الوجود

ويرى النشار ان التساؤلات الجوهرية حول أصل العالم وعلاقة الانسان بالكون قد نبتت في تربة الشرق القديم (مصر ، العراق ، بلاد فارس ، الهند ، والصين) مؤكداً ان ظهور الفلسفة في ايونيا بالقرن السادس ق.م لم يكن وليد الصدفة بل كان نتيجة علاقات متبادلة ومقدمات ذات جذور شرقية واضحة ومع ذلك يقر النشار بأن الفلسفة اليونانية طورت خصائص جديدة ميزتها عن الطور الشرقي مما منحها تفرداً في صياغتها النهائية . (النشار ،2015،ص ص 7-8)

وفي مقابل هذا الطرح يتبنى كل من زكي نجيب محمود واحمد امين موقفا ينحاز لأصالة العقل اليوناني معتبرين أن الفلسفة خلق يوناني خالص وليد بيئتهم الخاصة ويستند هذا الرأي الى أن الفلسفة نشأت في المستعمرات اليونانية ثم بلغت ذروتها في العصر الذهبي على يد الثلاثي (سقراط ، أفلاطون ، أرسطو) ضمن بيئة خالصة لا تعترف بتأثير مباشر للفكر الشرقي على امتدادها المنهجي .(محمود، أمين ،2018 ، ص19)

وعند المقارنة نجد ان هذا التوتر بين هذين الرأيين يمتد ليشمل شهادات اليونانيين القدامى أنفسهم فبينما يصر أرسطوطاليس ومؤرخون مثل ديوجين لايرس الى ارجاع الفلسفة الى طاليس في القرن السادس ق.م وهناك من قال ان اليونان لم يخترعوا الفلسفة فقط بل ان الجنس البشري تفرع من اليونان .

اما جون برنت فيقول لا يمكن ان نتحدث عن الفلسفة لدى المصريين والبابليين ممكن ان ننسب الفلسفة الى الهنود القدماء لكن تبقى الفلسفة اليونانية هي الاساس التي تأثرت بها الفلسفة الهندية (مطر ،1998 ،ص22)

بعد عرض الآراء السابقة يتبنى الباحث موقفا وسطاً يجمع بين خصوصية الفلسفة اليونانية القديمة وتأثرها بحضارات بلاد الشرق فلا يمكن تجاهل ما قدمه الشرق من معارف وصلت الى المدن اليونانية عبر التجارة وزيارة العديد من حكماء اليونان الأوائل مثل (طاليس وفيتاغورس) لمصر وبابل .

لكن الفلسفة بوصفها تأويلاً عقلياً ظهرت بصورة مميزة في المدن اليونانية نتيجة تميزهم في نمط التفكير ولوجود ظروف يونانية داخلية ملائمة .

وبذلك فأن الفلسفة اليونانية استفادت من الثقافة الشرقية لكنها لم تكن مجرد استنساخ حرفي لها بل كانت انشاء لقضايا عقلية ومنطقية مبتكرة .

المبحث الثاني :- تصور العلة الأولى وأصل الوجود في الفكر اليوناني لفلاسفة الطبيعة

أولا : طاليس الملطي (فيلسوف الماء)

أ- الماء كمبدأ

هو احد الحكماء السبعة انفرد بالعناية بالعلم كان اهتمامه الاكبر بالسياسة والاخلاق تجول في جميع انحاء الشرق وكان يعمل مهندس حربي وله اهتمامات فلكية وهذا ما جعله يتنبأ بكسوف الشمس الكلي الذي وقع سنة 585 ق.م ووضع تقويم الملاحة وارشادات فلكية .

خلال زيارة طاليس الى مصر أهتم بفيضان نهر النيل وقياس الاهرامات وقال بأن ظل الشيء يساوي ارتفاعه وكان هذا اول طريق يشقه نحو الفلسفة فبدأت الفلسفة بأسمه (كرم ، 2019، ص 39)

طاليس اول فيلسوف عرفته الدنيا وكان ذلك باتفاق المؤرخون وذلك لاهتمامه بالمادة التي تتكون منها الاشياء (أصل الاشياء) والتي ترد اليها الاشياء (محمود ، أمين ،2018 ، ص 22) ذكر المؤرخون ان طاليس مهتم بالجانب السياسي في بلاده حيث دعا الى اتحاد المدن الايونية وتكون العاصمة تيوس .

وكان من التجار الذين احتكروا معاصر الزيتون وبعد ذلك اجرها بأجور عالية وقد جمع ثروة كبيرة من ذلك .

أن اهتمام طاليس في الفلك والظواهر الطبيعية من امطار وفيضانات وغيرها جعلته يرى ان الماء هو المادة الاولى والمبدأ الاساسي لجميع الموجودات (مطر ، 1998 ، ص ص 50-51) فأن الاختلاف بين الانسان وباقي الموجودات من الشجر او الحجارة هي اختلاف في كمية الماء والنسب التي تركب منها .

يؤكد طاليس ان الماء هو العنصر الاساسي الذي لا تستقيم الحياة بدونه فجميع الكائنات الحية سواء كانت نباتاً او حيواناً او انساناً يعتمد بقائها ونموها على وجود الماء .

استدل طاليس على اولوية الماء من خلال ملاحظة خصائصه الطبيعية حيث يمتلك الماء قدرة الى التحول بين الحالات المادية المختلفة (الصلبة و السائلة والغازية)مما يجعل في نظره ان الماء المادة الاكثر مرونة وقابلة للتشكل (محمود ، أمين ، 2018 ، ص ص 22-23)

لم تكن فكرة الماء كأصل للوجود وليدة الفراغ بل استندت الى جذور تاريخية وملاحظات تجريبية استلهمها من الميثولوجيا القديمة حيث كان الماء حاضراً كعنصر أولي في أساطير الحضارات السابقة كالحضارة البابلية والمصرية ، وكما ورد لدى هوميروس لقد كان الماء في الرؤى الاسطورية يمثل المادة الخام التي كانت تغطي وجه الارض قبل نشأة العالم كما انه انتقل من الطرح الاسطوري الى الاستدلال العقلي القائم على الملاحظة حيث دعم رؤيته بأن الماء هو أصل الوجود بالأدلة التالية :

1- الضرورة الحيوية : ملاحظة أن جميع الكائنات الحية من نبات وحيوان تعتمد في تغذيتها وبقائها على الرطوبة .
2- الاستقراء الطبيعي : استند طاليس الى مشاهدات حسية في الطبيعة كوجود ظواهر طبيعية تؤكد أن الماء هو المادة التي يتكون منها قوام الاشياء مما عزز قناعته بأن العالم في جوهره يتكون من الماء .(كرم ،2019 ، ص 40)

ب – **البعد الميتافيزيقي للماء عند طاليس**

منح طاليس فكرة الماء في أصل الوجود بعداً ميتافيزيقيا لأنه لا يستخدم الماء كمادة جامدة فقط بل يرى ان الماء مادة قادرة على الحركة والتغير .

يذكر ارسطو طاليس عبارة منقولة عن طاليس ان العالم حافل بالآلهة اي انه حافل بالنفوس وان كل فعل هو نفس وان النفس منبثه في العالم اجمع فتكون المادة حية ويكون الماء حاصل على قوة حيوية حاضرة فيه دائماً وان ما يؤيد ذلك عبارة منسوبة لطاليس هي ان للحجر المغناطيس نفساً لانه يحرك الحديد هذا يدل على ان مبدأ الفعل والحركة لدى طاليس هي النفس وبما ان الحركة ظاهرة كلية كذلك النفس كلية . (كرم ، 2019 ، ص41)

فأن فكرة طاليس تعد بمثابة الشرارة التي انطلق اسلافه بعده منها سواء فشلت أم لم تفشل فهي تعد من أهم المحاولات الفلسفية الاولى يكفي انه اثار المشكلة ووضع الاساس الذي يقيمون البناء عليه بعده ظل هذا الرأي يلازم الفلسفة الى عهد سقراط هو اول من قال ان اصل الكائنات واحد وبحث عن ذلك الاصل فا اخذت الفلسفة تدور حول المشكلة وتجيب عن سؤاله (محمود، أمين ، 2018 ، ص 23)

ثانيا :- أنكسيمندر (الأبيرون)

أ- المنهج العلمي

يعتبر أنكسيمندر المؤسس الحقيقي للمنهج العلمي في المدرسة الملطية فهو لم يكتفي بالتأمل بل كان مخترعاً وجغرافياً وأول من دون الفلسفة نثراً

كان أنكسيمندر أول من رسم خريطة للأرض المسكونة واول من أدخل (المزاولة) لقياس الوقت وتحديد الاعتداليين كما نسب اليه وضع أول كتاب في الفلسفة تحت عنوان (في الطبيعة) وأى أن الارض أسطوانية الشكل ثابتة في مركز العالم. (قرني ، 1993 ، ص 45)

ب - **ميتافيزيقيا الأبيرون**

رفض أنكسيمندر أن يكون أصل الوجود مادة معينة (كالماء) كما هو الحال مع طاليس ، بل رأى ان الاصل يجب أن يكون مادة غير متعينة لتستوعب الاضداد

ان المبدأ الاول للأشياء هو اللامتناهي – الأبيرون وهو أول من استعمل هذا الاسم ويرى أنه مادة لا تشبه أي عنصر من العناصر المحسوسة بل هو طبيعة أخرى لا متناهية في الزمان والمكان ومنها تنشأ كافة العوالم (قرني ،1993 ، ص 47)

ويشرح الزيني طبيعة هذا الاصل بوصفه قوة الهية محيطة بالكل الأبيرون هو مادة لا تعتريها الشيخوخة ولا يلمسها الفناء تحيط بكل العوالم وتوجه مساراتها بفعل حركة أزلية دائمة وهي التي تضمن بقاء الوجود وعدم نفاده

يفسر أنكسيمندر كثرة الاشياء في الكون بعملية ميكانيكية تحدث داخل الأبيرون وتنشأ الاشياء بفعل الحركة الدائمة التي تؤدي الى انفصال الأضداد عن اللامتناهي فينفصل الحار عن البارد واليابس عن الرطب ومن تفاعل هذه الأضداد تظهر السموات والعوالم المتعددة (الزيني ، 2019 ، ص ص 101 -102)
يقدم أنكسيمندر أول قانون يربط بين الطبيعة والاخلاق مفسراً دورة الفناء والوجود يقول (ان الاشياء ترد الى حيث خرجت بحسب الضرورة لانها تؤدي لبعضها البعض كفارة الظلم الذي ارتكبته وذلك وفق ترتيب الزمان) فالموت هو اعادة التوازن الذي اختل بطغيان أحد العناصر على الاخر (الاهواني ،1954 ، ص 56)

ثالثا :- انكسميناس (فيلسوف الهواء)

أ- العودة للمادة والوحدة

يمثل انكسميناس الحلقة الثالثة في المدرسة الملطية ورغم انه تلميذ أنكسيمندر الا انه حاول التوفيق بين حسية طاليس وتجريد أستاذه .
انكسميناس أصغر سناً من أنكسيمندر وأقل منه في سعة الخيال ولكنه كان أكثر منه وضوحاً في التعبير ورأى أن المبدأ الاول يجب أن يكون مادة محددة لكنها لا متناهية (قرني ، 1993 ، ص 54) .

ب – الهواء كأصل للوجود

اختار انكسميناس الهواء ليكون هو المبدأ الاول وذلك لقدرته على التغلغل في كل شيء وكونه أساس الحياة .
يذهب انكسميناس الى ان الهواء هو المبدأ الاول والاساسي لكل مافي الوجود فهو مادة لامتناهية في الكمية ولكنها محددة في الكيفية ومنه تتكون الاشياء التي كانت والتي ستكون وحتى الآلهة والاشياء الالهية نشأت منه (الزيني ، 2019 ، ص 105) ولربط الهواء بالحياة نجد شذرته الشهيرة التي توضح شمولية هذا العنصر كما ان نفسنا وهي هواء تمسك بنا وتحفظنا فكذلك يحيط التنفس والهواء بالعالم كله (الاهواني ، 1954 ، ص 61)
تميز انكسميناس عن سابقيه باكتشاف الآلية التي تتحول بها المادة الواحدة الى أشياء مختلفة وهي أول محاولة لتفسير التغير الكيميائي في الطبيعة .
يفسر انكسميناس تنوع الوجود من خلال عمليتين فيزيائيتين هما التخلخل والتكاثف فالهواء اذا تخلل صار ناراً واذا تكاثف صار ريحاً ثم سحاباً ثم ماءً ثم ارضاً ثم حجاراً .
يؤكد عزت قرني عن أهمية هذا الكشف العلمي قائلاً
ان نظرية التخلخل والتكاثف هي اعظم اسهامات انكسميناس لانها جعلت الاختلافات الكيفية بين الاشياء مثل الفرق بين النار والتراب تعود في أصلها الى اختلافات كمية في درجة كثافة المادة الواحدة (قرني ، 1993 ، ص 56)
قدم انكسميناس تصوراً فيزيائياً للأجرام السماوية يختلف عن أستاذه حيث أعاد للأرض استقرارها فوق الهواء .
كان يرى أن الارض قرص مسطح يطفو فوق الهواء وكذلك الشمس والقمر والنجوم فهي اجرام نارية طافية وهي لاتدور تحت الارض بل تدور حولها كالقبعة التي تلتف حول الرأس (الاهواني ،1954 ، ص 63).

رابعا :- هيراقليطس (فيلسوف التغير)

أ- الغربة ومنطق الغموض

عاش هيراقليطس في افسوس وكان يلقب بالغريب او المظلم بسبب اسلوبه الرمزي وقد كان يزدري عامة الناس ويرى أن الحقيقة لاتنال الا بالفكر العميق .
كان هيراقليطس يرى ان التعلم الكثير لا يعلم الفهم والا لكان قد علمه لطاليس او فيثاغورس وكان يكتب بأسلوب شذري غامض لكي لا يفهمه الا من يستحق وقد اودع كتابه في معهد أرتميس بافسوس (الزيني ،2019 ، ص 120)

ب- مبدأ الصيرورة (كل شيء يتدفق)

هذا كان جوهر فلسفته فالكون ليس ساكناً بل هو في حالة حركة وتغير دائم ولا يوجد شيء ثابت الا التغير نفسه يقول (انك لاتنزل النهر الواحد مرتين لان مياهاً جديدة تتدفق عليك أبداً) فالعالم عنده ليس مجموعة من الاشياء الثابتة بل هو صيرورة مستمرة حيث يتحول كل شيء ضده في صراع لا يتوقف (الاهواني ، 1954 ، ص 132)
اختار هيراقليطس النار رمزاً للوجود ليس لانها مادة بل لانها أنسب عنصر يمثل التغير والحركة لكن هذا التغير محكوم بقانون عقلي يسمى اللوغوس .
هذا العالم لم يصنعه احد من الآلهة ولا البشر بل كان دائماً ولا يزال وسيكون ناراً حية أزلية تشتعل بمقدار وتنطفئ بمقدار وهذا المقدار هو اللوغوس أو القانون الكوني الذي ينظم حركة الاضداد وتوازنها (قرني ، 1993 ، ص 78) .

يرى هيراقليطس ان الكون يقوم على الحرب بين المتناقضات وهذه الحرب هي التي تولد الانسجام في النهاية .
يقول هيراقليطس (الحرب هي اب لجميع الاشياء وملك على كل شيء) فالصعود والهبوط واحد والخير والشر وجهان لعملة واحدة وهذا التوتر بين الاضداد هو ما يحفظ توازن العالم ويمنعه من السكون الذي يعني الموت (الاهواني ، 1954 ، ص 145) .

خامسا :- الخلاصة البنيوية للمبحث

بدأت الرحلة من البحث عن المادة الاولى وانتهت باكتشاف القانون الكوني يمكن ابراز كيف قطع الفلاسفة الأيونيون صلتهم بالتفسير الخرافي فالعالم لم يعد مسرحاً لأهواء الآلهة بل منظومة تخضع لقوانين يمكن فهمها .
لقد وضع هؤلاء الفلاسفة البذرة الاولى لروح العلم فالبحث عن أصل واحد (ماء ، هواء ، نار) هو في حقيقته بحث عن وحدة القوانين التي تحكم الطبيعة (قرني ، 1993 ، ص 40)
رأينا كيف تطور الفكر من الماء الساكن الى النار المتحركة هذا الانتقال يظهر نضج الفكر اليوناني في فهم أن الوجود ليس مجرد أشياء بل هو عمليات وتغير مستمر .
ان اكتشاف الصيرورة (التغير الدائم) جعل الفلسفة تدرك ان الثبات وهم وان الحقيقة تكمن في التدفق المستمر للمادة (الاهواني ، 1954 ، ص 132)
ان صراع الاضداد ليس فوضى بل هو الذي يحقق التوازن (اللوغوس) فالحرارة تحتاج للبرودة والنهار يحتاج لليل وهذا التوتر هو مايمنح الوجود استقراره
الحرب هي ملك الكل ومن التناقض ينشأ أجمل انسجام هذا القانون الهيراقليطي هو الذي يفسر كيف تتوحد الكثرة في واحد (الاهواني ، 1954 ، ص 145).

المبحث الثالث :- مفاهيم الثبات والتغير والوحدة

أولا :- بارمنيدس الايلي

أ- الوجود والوحدة

يعد بارمنيدس أول فيلسوف يستخدم الاستدلال القياسي أو الاستنباطي كأداة لبناء الميتافيزيقيا فبينما كان الفلاسفة الاوائل يعتمدون على ملاحظة الحواس قرر بارمنيدس ان الحواس تضللنا وأن العقل وحدة هو من يكشف الحقيقة المطلقة .
تمثل فلسفة بارمنيدس الايلي لحظة الفصل المعرفي في الفكر اليوناني اذ نقل مركز الثقل من البحث في المادة الى البحث في الوجود كفئة مجردة يقرر بارمنيدس أن الوجود هو الحقيقة الوحيدة التي يمكن للعقل ادراكها في حين ان الصيرورة والتغير ما هما الا أوهام ناتجة عن خداع الحواس أن الوجود لديه واحد أزلي وثابت لا يحده زمان ولا مكان وهو ما يجسد الانتقال من فيزياء الطبيعيين الاوائل الى ميتافيزيقيا الوجود المحض .
ان المنطق الذي تأسس عليه هذا المذهب يقوم على مبدأ الهوية المطلق الوجود موجود ، والعدم ليس بشيء وبناء على هذا الاستدلال العقلي يرفض بارمنيدس أي امكانية للحركة أو التعدد لان الحركة تقتضي وجود فضاء خالٍ (عدم) ينتقل اليه الجسم وبما ان العدم غير موجود عقلاً فان الحركة مستحيلة منطقياً هذا التجريد جعل بارمنيدس أول فيلسوف يضع العقل فوق التجربة الحسية ويؤسس لسيادة المنطق الاستنباطي في الفلسفة الغربية (رسل ، 2023 ، ص ص 65 -66) ويأتي مذهب بارمنيدس كاستجابة نقدية وصريحة لآراء هيرقليطس فبينما كان الاخير يرى أن التغير الدائم هو جوهر العالم أكد بارمنيدس على الثبات والوحدة كقانون وحيد للوجود الحقيقي لقد قسم بارمنيدس المعرفة الى طريقين

1- طريق الحق : الذي يهتدي بالعقل الى الوجود الثابت
2- طريق الظن : الذي يضلل الانسان بالكثرة والتغير

فالكائنات في عالمنا ليست سوى تجليات ظاهرة لهذا الوجود الواحد الذي لا يتجزأ والذي يفتح عين العقل على الحقيقة الجوهرية . (رشيدة ، 2012 ،ص 155)
لا يمكن فصل هذا التطور الفلسفي عن السياق الحضاري واليقظة العلمية التي شهدتها اليونان
اذ ارتبط هذا التجريد بنمو التفكير الرياضي ومحاولة فهم القوانين الكلية التي تحكم الكون ان الفاع عن الثبات البارمنيدي وجد سنده في مفارقات تلميذه زينون الايلي الذي حاول عبر حجج رياضية ومنطقية (مثل مفارقة أخيل والسلحفاة) اثبات ان الحركة والتعددية ظواهر غير قابلة للتفسير العقلي المتسق مما يعكس نضج القدرة اليونانية على عزل المفاهيم المنطقية عن الواقع الحسي البسيط (أنيس ، 2025 ، ص 138) .
تتضح خطورة التحدي البارمنيدي في محاورة افلاطون الشهيرة التي تحمل اسمه حيث يسائل بارمنيدس سقراط حول نظرية المثل تبرز الاشكالية في مفهوم المشاركة فاذا كان الوجود (المثال) واحداً كلياً فكيف يمكن للأشياء الجزئية المتعددة أن تشارك فيه دون أن تفقد وحدتها أو تنقسم ؟ هذا الجدل يثبت أن تشارك فيه دون أن اشكالية

الواحد والكثير التي اثارها بارمنيدس ظلت المحرك الرئيسي لكل محاولات بناء الميتافيزيقيا اللاحقة مما جعله الاب الروحي للفكر العقلاني الكلاسيكي (افلاطون ، 2002 ، ص 48)

ب- الدفاع الجدلي هن الوجود الايلي

لم يكتفِ المذهب الايلي بطرح نظرية الوجود الواحد الثابت بل سعى لتفنيد خصومه عبر مفارقات منطقية ورياضية معقدة قدمها زينون الايلي تلميذ بارمنيدس
ويوضح أنيس أن زينون استخدم الذكاء الرياضي لإثبات استحالة الحركة والتعدد فمن مفارقة أخيل والسلحفاة الشهيرة أراد زينون أن يثبت أن العقل اذا قبل بوجود الحركة فانه سيقع في تناقضات منطقية لا حل لها ان هذا الدفاع لم يكن مجرد سفسطه بل كان ضرورة لحماية التصور البارمنيدي عن الوجود ككتلة واحدة غير منقسمة وهو ما اجبر العلماء الرياضيين في العصور التالية على اعادة النظر في مفهوم اللانهائي والاتصال (أنيس ، 2025 ،138)

ثانيا :- المدرسة الفيثاغورية والتحول نحو الجوهر الرياضي

يمثل الفكر الفيثاغوري قفزة نوعية في مسار البحث عن أصل الوجود فبينما انشغل الطبيعيون الاوائل بالمادة والبارمنيديون بالوجود المجرد ذهب الفيثاغوريين الى ان العدد هو أصل كل شيء لم يكن العدد لديهم مجرد وسيلة للحساب بل هو المبدأ الذي يمنح الاشياء هويتها ووجودها وبناءً على ذلك تحول البحث الفلسفي من البحث في ماهي المادة ؟ الى ماهو النظام ؟ حيث اعتبروا ان الانسجام العددي هو القانون الكلي الذي يحكم الكون من أصغر ذرة الى أكبر كوكب مما جعل من الرياضيات لغة الوجود لا مجرد أداة قياس (قرني ،1993 ،ص 112) .
ويرى راسل أن فيثاغورس هو الشخصية الأكثر تأثيراً في تاريخ الفكر الغربي ليس فقط كعالم رياضيات بل كمؤسس لمذهب مزج بين العلم والتصوف بشكل فريد .
يوضح راسل أن الفيثاغورية قدمت مفهوماً ثورياً مفاده أن الرياضيات هي مفتاح فهم الطبيعة وهو المفهوم الذي مهد الطريق لاحقاً لفيزياء العصر الحديث .
ان الربط بين الارقام وبين النفس والفضيلة جعل الفلسفة الفيثاغورية طريقة حياة دينية علمية في آن واحد وهو ما أثر بعمق في بنية الفكر الافلاطوني اللاحق الذي استلهم فكرة المثال من ثبات الحقائق الرياضية (رسل ، 2023 ، 48) .
ومن الزاوية العلمية يشير عبد العظيم أنيس الى أن الفيثاغوريين هم أول من أكتشف العلاقة بين النغمات الموسيقية والنسب العددية مما أدى بهم الى الاعتقاد بأن الكون كله ليس سوى سلم موسيقي او عدد هذا الاكتشاف لم يخدم الموسيقى فحسب بل أسس لفكرة الانسجام الكوني ، حيث ينظر الى الوجود كبناء منظم رياضياً بعيداً عن العشوائية .
ان هذا التوجه يعكس نضج الحضارة اليونانية في محاولة عقلنة الظواهر الطبيعية وتحويلها الى قوانين هندسية ثابتة مما جعل العالم مفهوماً ومقدراً بنسب ثابتة (أنيس ، 2025 ، ص 142)
وتضعنا القراءة التاريخية الشاملة أمام حقيقة أن الفيثاغورية لم تكن مجرد مدرسة علمية بل كانت تياراً فكرياً حاول الاجابة عن اشكالية الواحد والكثير عبر العدد .
ففي حين رأى بارمنيدس الوجود واحداً ثابتاً رأى الفيثاغوريون ان الواحد هو أصل الاعداد ومنه تنبثق الكثرة المنظمة هذا الربط بين التعددية والوحدة عبر النظام الرياضي هو ماجعل من الفلسفة ما قبل السقراطية تنتهي الى نضج فكري كبير ، حيث أصبح الوجود مفهوماً قابلاً للقياس والفهم العقلي الصارم مما مهد لظهور الميتافيزيقيا الكلاسيكية التي تبحث في الجوهر لا في المظهر (الزيني ، 2019 ، ص 74)

الخاتمة

في ختام هذا البحث يتبين أن أصل الوجود قبل سقراط قد قطع رحلة معرفية طويلة وعميقة بدأت من البحث في ماء طاليس كأصل مادي ومرت ب وجود بارمنيدس كجوهر عقلي مجرد وكذلك انكسمندر وأنكسيماس وهيراقليطس وانتهت ب عدد فيثاغورس كقانون رياضي منظم للكون .

لقد مهدت هذه المدارس الطريق لظهور الفلسفة المنظمة حيث لم يعد البحث مقتصراً على المادة الملموسة بل امتد ليشمل الماهيات والقوانين الكلية التي تحكم الوجود الانساني والكوني ان هذا التراكم المعرفي هو الذي جعل من الفكر اليوناني فجراً حقيقياً للفلسفة ، حيث انتقل الانسان من مرحلة الدهشة امام الطبيعة الى مرحلة فهم القوانين الرياضية والمنطقية التي تسيرها (الاهواني ، 1954 ، ص 92) .

ان ما نستخلصه من هذه الرحلة هو ان الفلسفة قبل سقراط لم تكن محاولات بدائية بل كانت تأسيساً جذرياً للمنطق والميتافيزيقيا فقد وضع بارمنيدس حجر الاساس للمنطق الصوري (الوجود موجود) بينما وضع الفيثاغوريون حجر الاساس للبحث العلمي القائم على القياس والنسبة هذا الجمع بين المنطق والرياضيات هو الذي شكل التربة الخصبة التي استفادت منها لاحقاً فلسفة افلاطون وارسطو طاليس مما يثبت ان البحث عن اصل الوجود كان البوابة الكبرى التي عبر منها الفكر البشري الى مرحلة التنظير العقلي الكلي (الزيني ، 2019، ص 75).

ختاماً ان قيمة هذا البحث تكمن في ادراكنا ان الاسئلة الكبرى التي طرحها هؤلاء الفلاسفة حول (الواحد ، الكثرة ، الثبات ، الصيرورة ، العقل والحس) لاتزال هي المحرك الرئيسي للفكر الانساني المعاصر لقد رحل الفلاسفة قبل سقراط لكن اسئلتهم لاتزال حية تذكرنا بأن كل علم او بحث اليوم هو امتداد لتلك اللحظة التاريخية الفريدة التي قرر فيها العقل اليوناني ان يفسر الكون بعيدا عن الاساطير معتمداً على ادوات العقل والبرهان .

أ- نتائج البحث

1- ان الفكر اليوناني لم يتوقف عند محاولة تفسير الكون بمواد ملموسة مادية بل ارتقى الى المبدأ التجريدي والادراك بالمنطق لا بالحواس
2- ان المدرسة الفيثاغورية كانت النواة الاولى للبحث العلمي القائم على القياس والنسبة حيث استبدلت البحث عن جوهر الاشياء بالبحث عن نظامها وجعل الرياضيات يقوم بمهمة تفسيرها .
3- ان الفلسفة قبل سقراط لم تكن مقدمات عشوائية بل كانت تأسيس جذري للفلسفة اللاحقة .
4- ان العالم ليس محكوماً بالصدفة بل هناك قوانين كلية يمكن فهمها .

ب- التوصيات

1- يوصي الباحث بضرورة توسيع دائرة البحث التي تربط بين الفلسفة والرياضيات ففهم الفكر اليوناني لا يكتمل دون ادراك الرياضيات .
2- النظر الى المدارس الفلسفية كأفكار متصلة وذلك لفهم كيف مهدت هذه الصراعات الفكرية لظهور الفلسفة الكلاسيكية .

المصادر

أ- الكتب العربية

1- احمد فؤاد الاهواني ،فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ،دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ،الطبعة الاولى ، 1954 م .
2- ابراهيم الزيني ، تاريخ الفلسفة من قبل سقراط الى مابعد الحداثة ،الناشر كنوز للنشر والتوزيع ،القاهرة ، 2019 م .
3- اميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998م
4- افلاطون ،محاورة بارمنيدس لافلاطون ،ترجمة حبيب الشاروني ،المشروع القومي للترجمة ،القاهرة الطبعة الاولى 2002 م .
5- برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الاول ،ترجمة زكي نجيب محمود ،مراجعة احمد امين ،مؤسسة هنداوي ،المملكة المتحدة ،2023م .
6- زكي نجيب محمود و أحمد أمين ، قصة الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي سي اي سي ، المملكة المتحدة ، 2017 م .

7- عبد العظيم أنيس ، العلم والحضارة الحضارات القديمة اليونانية ،مؤسسة هنداوي ،المملكة المتحدة ، 2025 م .
8- عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى افلاطون ، مجلس النشر العلمي ،مكتبة النرجس ، الكويت ، 1993م .
9- مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، 2015 م
10- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، تقديم وشرح وتعليق د . مصطفى النشار ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، 2019 م .

ب- المجلات

1- صاري رشيدة ،تأملات في فلسفة بارمنيدس ،مجلة دراسات انسانية واجتماعية ، جامعة وهران ، عدد خاص ، 2012 م.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract

This study focuses on exploring the deep philosophical conceptions related to the question of the origin of existence which constitutes a cornerstone in ancient Greek thought during the sixth and fifth centuries BCE.

The scientific significance of this study lies in tracing a pivotal moment in the historical transformation of human thought where reason moved from mythical and mythological interpretations toward the domain of philosophical contemplation and rational inquiry in explaining the origin of the universe and its primary principles .

The research examines through analysis and comparison the views of a group of pre – Socratic philosophers beginning with Thales Anaximander and Anaximenes and extending to the dialectical frameworks of Heraclitus Parmenides and Pythagoras . This is undertaken through analyzing their conceptions of the primary substance and the governing laws of existence .

Keywords :- Origin of existence , Greek philosophy , pre – Socratic philosophy , the historical transformation of thought , Greek metaphysics .